بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف التفسير والتأويل

التفسير في اللغة : التفسير هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى في سورة (الفرقان: ٣٣) ***{ ولا يأتونك بمثلٍ إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً }*** أي بيان وتفصيلا، وهو مأخوذ من **الفسر**، وهو **الإبانة والكشف**، قال فيروز ابادي : (الفسر : الإبانة وكشف المغطى كالتفسير ، والفعل كضرب ونصر)

ويقال في اللغة : فسرتُ الشيء أفسره تفسيراً، وفسرته أفسره فسراً، ويقال أيضاً : سفرتْ المرأة سفوراً إذا ألقت خمارها، فهي سافرة، وأسفر الصبح أضاء.

التفسير في الاصطلاح : هو (علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات. ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)

أو هو (**علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام**)

وعرفه بعضهم : بأنه (**علم نزول الآيات، وشئونها، وأقاصيصها، ولأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها**)

وهذه التعاريف كلها تتفق على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى.

تعريف التأويل من حيث اللغة : وأصل التأويل من آل يقال (ال إليه أولاً ومالاً: رجع ، وعنه: ارتد ..... وأول الكلام تأويلاً وتأوله دبره وقدره وفسره، فكأن المؤول أرجع الكلام إلى ما يستعمله من المعاني).

وقال الزركشي : أصل التأويل من المال وهو العاقبة والمصير ومنه قوله تعالى { يوم يأتي تأويلهُ}

تعريف التأويل من حيث الاصطلاح :

التأويل يستعمل بمعنى توجيه المتشابه، وهو تفعيل من الأول بمعنى الرجوع، لأن المؤوَل عندما يخرج للمتشابه وجها معقولاً، وكذلك يستعمل في تبرير العمل المتشابه أيضاً كما في قصة الخضر (عليه السلام) قال لصاحبه **{ سأُنبؤك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً }** أي سأطلعك على السر المبرر لأعمالٍ شكوكك ودعتك إلى الاعتراض .

إذاً فكل لفظ أو عمل متشابه أي مثير للريب إذا كان له توجيه صحيح فهذا التوجيه تأويله لا محالة.

وقد جاء في الأثر : ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن. **وقد سئل الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) عن ذلك فقال: (ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه قد مضى، ومنه ما لم يكن، يجري كما يجري الشمس والقمر).**

وقال (عليه السلام) أيضاً: (ظهر القرآن الذي نزل فيهم وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم).

ومثال على ذلك في قصة يوسف (عليه السلام) ***{ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيتُ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين}*** وبعد مضي سنوات طويلة وحوادث كثيرة جاء تأويل هذه الرؤيا في نهاية السورة بالشكل التالي: ***{ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رُءيى من قبل قد جعلها ربى حقا}***

١- التأويل هو (تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين، وهذا هو ما عناه مجاهد من قوله: ***((إن العلماء يعلمون تأويله))*** يعنى القرآن)

٢- هو (صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به)

٣- التأويل (هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط)

معاني التأويل

جاء استعمال لفظ "التأويل" في القرآن على ثلاثة وجوه

١- **تأويل المتشابه،** بمعنى توجيهه حيث يصح ويقبله العقل والنقل، اما في متشابه القول، كما في قوله تعالى : **{ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء**

الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ}، او في **متشابه الفعل**، كما في قوله: **{ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا }.**

٢- **تعبير الرؤي**، وقد جاء مكرراً في سورة يوسف في ثمانية مواضع: (٦-٢١-٣٦-٣٧-٤٤-٤٥-١٠٠-١٠١)

٣- **مآل الأمر وعاقبته**، وما ينتهى اليه الأمر في نهاية المطاف، قال تعالى: { وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }، أي أعْود نفعاً وأحسن عاقبة.

٤- والمعنى الرابع - للتأويل - جاء استعماله في كلام السلف: مفهوم عام، منتزع من فحوى الآية الواردة بشأن خاص، **حيث العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد.**

وقد عبر عنه بالبطن المنطوي عليه دلالة الآية في واقع المراد، في مقابلة الظهر المدلول عليه بالوضع والاستعمال، حسب ظاهر الكلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **"ما في القرآن آية الا ولها ظهر وبطن".**

سئل الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) عن هذا الحديث المأثور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: **"ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن، يجري كما تجري الشمس والقمر".**

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله: "ان فيكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، وهو على بن ابي طالب".

فإنه (صلى الله عليه وآله) قاتل على تنزيل القرآن، حيث كان ينزل بشأن قريش ومشركي العرب ممن عاند الحق وعارض ظهور الإسلام أما علي (عليه السلام) فقد قاتل أشباه القوم ممن عارضوا بقاء الإسلام، على نمط معارضة أسلافهم في البدء.

الفرق بين التفسير والتأويل عند العلماء

ذهب علماء علم التفسير إلى وضع وجوه الافتراق بين التفسير والتأويل ومنها.

١- التفسير والتأويل بمعنى واحد، وهذا ما ذهب إليه أبو عبيدة وثعلب وابن منظور وطائفة من العلماء والمبرد.

٢- قال الراغب الاصبهاني : (التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في **الألفاظ ومفرداتها**، وأكثر استعمال التأويل في **المعاني والجمل**، وأكثر ما **يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها**).

٣- **التفسير يتعلق بالرواية**، والتأويل يتعلق بالدراية، وهما راجعان إلى التلاوة والنظم المعجز الدال على الكلام القديم القائم بذات الرب.

٤- التفسير كشف المغطى، والتأويل انتهاء الشيء ومصيره وما يؤول إليه أمره.

٥- التفسير بيان وضع اللفظة أما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر، **والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر**، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل.

٦- ان التفسير هو إبانة حكم اللفظة إما التأويل هو تحميل اللفظ ما هو يحتمل من المعاني.

أنواع التفسير

روي ابن جرير الطبري – رحمه الله – عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

التفسير أربعة أنواع:

الأول: تفسير يعرف من كلام العرب.

الثاني: تفسير لا يعذر أحد بجهالته.

الثالث: تفسير لا يعلمه إلا العلماء.

الرابع: تفسير لا يعلمه إلا الله تعالى».

فأما الذي يعرف من كلام العرب فهو الذي يحتاج إلي رجوع إلي لغة العرب والنظر إلي مدلول الألفاظ التي يراد تفسيرها في استعمال العرب، مثل قوله تعالى: **{ والْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ }** [البقرة ٢٢٨] **(فلفظ القرء هنا من الألفاظ المشتركة بين الحيض والطهر**، ولا يحسم الأمر فيه إلا الرجوع إلي الاستعمال الأكثر ولا يعرف هذا إلا من لغة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم).

وأما الذي لا يعذر أحد بجهالته فمثاله معظم آيات الأمر والنهي والحلال والحرام وآيات العقيدة، **{ وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ }** [البقرة: ٨٣]، **{ ولا تَقْرَبُوا الزِّنى }** [الإسراء: ٢٢]، **{ ولا تَنْكحُوا ما نَكحَ آباؤُكمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ }** [النساء: ٢٢]، **{ ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ }** [الأنعام: ١٥١]، (.. فهذه الآيات لا يعذر أحد بجهالتها إذ واضح أن الأمر فيها يوجب القيام بمقتضاه، والنهي يوجب الانتهاء.

وأما الذي لا يعلمه إلا العلماء: فهو المتشابه أي الذي يحمل أكثر من معني، مثل قوله تعالى: **{ نِساؤُكمْ حَرْثٌ لَكمْ فَأْتُوا حَرْثَكمْ أَنَّى شِئْتُمْ }** [البقرة: ٢٢٢]. **{ والذَّارِياتِ ذَرْوًا فَالْحامِلاتِ وِقْرًا}** [الذاريات: ١ – ٢]. **{ والْمُرْسَلاتِ عُرْفًا }** [المرسلات: ١].

فلفظ (أني) هنا معناه متشابه، هل هو «**كيف**» أم «**حيث**» أم « **متي**» ... والذاريات، والحاملات، والمرسلات، والعاصفات، أيضا معانيها متشابهة هل هي الرياح أم الملائكة، ولا يستطيع ترجيح معنى هنا إلا العلماء العارفين بالقرائن، وبالسياق وغير ذلك من أصول الترجيح.

وأما الذي لا يعلمه إلا الله فهو المتشابه من الآيات التي اشتملت على غيبيات استأثر الله بعلم تفاصيلها لنفسه، كموعد قيام الساعة ونزول المطر وتحديد الآجال.

{ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكراها } [النازعات: ٤٢ – ٤٤].

وهذه الأنواع الأربعة للتفسير تدور كل الآيات القرآنية في فلكها وفائدة ذكرها: أن يعلم المتعرض لتفسير القرآن أنه لا يستطيع تفسير جميع الألفاظ القرآنية فمنها ما استأثر الله بتفسيره، ومنها ما لا يعلمه إلا العلماء، ومنها ما يحتاج إلي رجوع لكلام العرب ... فإن أحسن واحدا من تلك الأنواع خاض فيه، وإلا فالكف والتورع يكون له أهدي سبيلا.